الدراسة في النجف

الفصل الخامس

بقلم الاستاذ احمد مجيد عيسى

المواد التي تدرس في النجف

ان النجف على كونها تسير ببطء فهي لاشك يدرس فيها القديم بجميع شؤونه وعلى علاته واشكاله اضافة الى الحديث يدرس الطالب المبتدىء بعض الكتب من نحو وصرف ثم يتعمق بالدراسة فيدرس المنطق والبلاغه والفقه والاصول.

يبدأ الطالب بالنحو والصرف فيقرأ بالنحو كتاب الاجروميه وهو كتاب صغير الحجم وضع للمبتدىء بالدراسة وكان هذا الكتاب ولا يزال يدرس منذ ابتداء الدراسة الى الآن فهو اساس الدراسة في النحو، وبعد انتهاء الطالب من كتاب الاجرومية ينتقل الى كتاب القطر « بالنحو » وثم الفية ابن مالك وشرحها لبدر الدين وهو يقرأ كل هذه الكتب ليكون اهلا وذا استعداد لقراءة كتاب ليكون اهلا وذا استعداد لقراءة كتاب المغني اللبيب لابن هشام ولسعة هذا الكتاب قد لايتم الطالب قراءته وانما يكفي منه بحرف الالف والباب الرابع فقط.

وقد الفت بعض الكتب للتطبيق تشتمل على حل بعض الالغاز النحوية والجمل العسرة في الاعراب التي اتخذها الطلاب للمطالعة كالغاز ابن هشام مثل كتاب « نهج الصواب في حل مشكلات الاعراب ». واما المدة التي يصرفها الطالب لاتقان النحو فقد تقارب الاربع سنوات او اكثر. واما بالصرف فيقرأ الطالب شرح النظام وقد يتوسع فيدرس شرح الشافية للشيخ الرضي هذا كله مضافاً لما يوجد منه في كتاب النحو.

وبعد الانتهاء من علمي النحو والصرف ينتقل الطالب الى علم المنطق والكتب التي يدرسها في هذا الصدد هي كتاب الحاشية لملا عبد الله احد علماء النجف المتقدمين، وتنسب اليه قبيلة الملالي، ثم كتاب شرح الشمسية للقزويني وقد يتوسع فيدرس كتاب المطالع او كتاب منتقى الجمان للمرحوم الشيخ عبد الهادي شلبلة احد الاساتذة النجفيين.

ثم ينتقل الطالب الى علوم البلاغة وهي المعاني والبيان والبديع ويدرس كتاب المختصر وقد يتوسع فيدرس كتاب المطول.

وثم يدرس الطالب بعد هذا علمي الاصول والفقه والكتب التي يدرسها هي كتاب الكفاية للعلامة ملا كاظم الخراساني « بعد قراءته لكتاب المعالم » وكتاب الرسائل للشيخ الانصاري ثم بعد هذا يدرس بعض الكتب الاستدلالية في الفقه تشتمل على كيفية اخذ الحكم الشرعي من الادلة الفقهية كاللمعة وكتاب مكاسب الشيخ الانصاري وكتاب الطهارة للشيخ الانصاري ايضا وكتاب شرح الشرائع لاغا رضا الهمداني.

وغالبا يتوسع الطلاب في دراسة العلوم الحكمية والكلامية فيدرسون «شرح المنظومة» للسبزواري و« شرح التجريد » للعلامة الحلي وكتاب « الاسفار » لملا صدرا. وقد يدرس علم التفسير والكتب التي تدرس من اجله كتاب مجمع البيان للطبرسي وتدرس كذلك العلوم العربية ويهتم بها اهتماماً كثيراً لدرجة ان اصبح النجفيون بارعين فيها ومما يدل على براعتهم في هذه العلوم العربية مابدوه من انتقادات حول كتاب تيسير اللغة: فقد انتقده العلامة الكبير محمد جواد الجزائري على صفحات مجلة الغري والشيخ علي كاشف الغطاء على صفحات جريدة العراق. واذا انتهى الطالب من دراسة هذه المواد فقد انتهى من دراسة السطوح وعد اهلا للاشتراك بابحاث الخارج.

وقد مد علم الفقه رواقاً على باقي العلوم والقى سرادقاً فوقها فلا يكاد الفرد يسمع لها زجلا وراء جابة ضوضاء ولا يرى لها نوراً بعد علو بهائه.

اما التاريخ والفلسفه فان لها علمائه متخصصين بها لاينكر قدرهم السامي ومكانتهم العاليه فضلا عمن بحث عنها بالعرض ودرسها بالتتبع. وللنجف شأن يذكر في دراسة

النظريات المادية والتي اقامت اوربا ولم تقعدها واماطت الحجاب عن غامضها ودحضها دحضاً لم نجد له مثيلاً في معاهد العلوم الدينية غيرها حتى الجامع الازهر فمنذ وعى حسين هذه النظريات المادية في النجف والعهد قريب وسمع صداها فيها « النجف » قام اليها جماعة من اذكياء العلماء المتبحرين وفحوصها وشحذوا العزائم في نقدها وردّها وكم صادفوا عناء في اخذها من منابعها ومصادرها بعد ان كانت غريبة عنهم بجميع جهاتها في لغتها وادلتها ومنهج التفكير فيها ، ويعترض ذلك عناء آخر وهو مراقبة المحيط فقد مرّ زمن على النجف وسائره باق الى الان يرى الفرد فيه انّ اقتناء بعض المؤلفات ومعرفة بعض اللغات والتفوه ببعض الكلمات الحاد وزندقه وما اشد الالحاد والزندقة على المتهم في بلاد دينيه بحته كالنجف فقد كان اولئك العلماء يخشون من الدين في صيانة الدين . وكانت نتيجة ذلك ان الفوا عشرات الكتب في الردّ عليها ، ومن المؤلفات الحديثه في هذا الشأن كتاب (نقد فلسفة داروِن) للعلامة الشيخ اغا رضا الاصفهاني و « الهدى الى دين المصطفى » و [انوار الهدى » وغيرهما من المؤلفات للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي وبعض مؤلفات الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء وبعض الكتب التي لم تطبع لحد الآن واما دراسة الاداب فانها تشمل شطراً غير قليل من الدراسة وتلعب دوراً خطيراً فيها اذ كانت النجف منذ القدم ولا تزال تهتم بالاداب وتدريسها اهتماماً زائداً ادى الى نبوغ عدة شعراء ماهرين نحروا الشعر نحراً واصبحت النجف ذات شهرة ذائعه وصيت طائر في الادب العربي . ولكل من المناخ والتربة والاحتكاك اثره في الادب ودراسته فالنجف اكثر البلدان العراقيه هجرة اليها واشدها احتكاكاً واوثقها علاقة بالامم الحية والرجال المهذبين من ملوك وعلماء وادباء وامراء الى غير هؤلاء من صحيحي الشعور ، كل ذلك له الاثر البين في تكوين روح الشاعر الادبيه والاخذ بساعده الى مرافئ الادب . وابلغ شاهد على ذيوع سمعة الادب في النجف كلمة الدكتور ابراهيم سلامة «وهو رجل مصري» التي سجلها على صفحات دفتر ملاحظات جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف قال (تتنازع الادب اليوم اهواء وينزع الاخذون به كل منزع ولا يزال الادب حياً ما زانت النجف للعالم العربي)

وبالاضافة الى دراسة الادب ضمن المواد التدريسية في الدراسة الفردية ونظام الحلقات فهنالك جمعيات خاصة (١) اخذت على عاتقها تدريس الادب بصورة غير مباشرة وبذلت جهودها لاحياء اللغة العربية والادب كجمعية الرابطة .

وفيما عدا هذه العلوم التي ذكرت فهنالك علوم اخرى تدرس في مدارس النجف الدينية وهي :

الحساب، الهندسة على مستوى الصفوف الرابعة والخامسة والسادسة الابتدائيه ، علم الكلام على مستوى شرح التجريد علم الهيئه ، علم الاخلاق ، لغات اجنبيه [وهي اللغة الفارسية والتركيه] علم الحديث وعلم الحكمه .

فالنجف من جملة العواصم العلمية التي لها مبلغ عظيم من الاشتهار في سائر الاقطار ولكن هذه العاصمة الكبرى الدينية اذا دخلها المتجول الغريب لا يرى نصف العشر ١-٢٠ مما يسمع وقد تمر عليه الاسابيع والاشهر ولا يرى احداً من هؤلاء المنكشين في كسر بيوتهم البارعين المتفننين الجهابذة القديرين في جملة المعارف والعلوم الشرعية فيخرج وقد حسب الامر بعضه او كله مبالغة وخداع .

وقبل الانتقال الى موضوع آخر ارى من الاجدر « ان لم يكن من الواجب » ان اشير الى المكتبات في النجف لانها الينابيع التي يستقي من مناهلها الطلاب المواد المتقدمة الذكر والآثار التي يتمخون منها .

المكتبات

لان النجف مهد العلم ومهبط العلماء فقد كثرت فيها الكتب و « المكتبات ورغم ما لعبت يد الدهر في تشتيت الكتب ففي مكتباتها من الكتب القديمة وحتى للمخطوطة شيء غير قليل .

والمكتبات تقسم الى قسمين :

أ — المكتبات البائد

ب — المكتبات الحاضرة

يتبع

احمد مجيد العيسى

(١) سنأتي على ذكرها فيما يلي